سيرة القائد المجاهد
أمحزون محمد أوحمو الزياني

تأليف
أ.د.محمد أمحزون
شعبة التاريخ
كلية العلوم والآداب الإنسانية
مكناس

نشر هذا الكتاب تحت إشراف
جمعية أمحزون محمد أوحمو الزياني في خنيفرة

الطبعة الأولى
1423هـ / 2011م

(نسخة رقمية موافقة للمطبوع)

فهرس الموضوعات

مقدمة

إن أمحزون محمد أوحمو الزياني هو قائد
قبائل زيان في
عهد السلطان الحسن الأول والسلطان عبد العزيز
والسلطان عبد
الحفيظ.

وترجع شهرته من جهة إلى حنكته السياسية
وخبرته
الإدارية، حيث يتمتع بجملة من الخصائص والمزايا أهلته
للمسك بزمام
المبادرة في قبائل زيان، ويكون هو الرائد في تلك الفترة
الحرجة من
تاريخ المغرب الحديث، حيث آل وضع السلطة المركزية
إلى
الضعف والاضمحلال.

ومن جهة ثانية تعود شهرته إلى المعارك
الكثيرة التي
خاضها ضد الاحتلال الفرنسي، وعلى رأسها معركة الهري
الشهيرة في
العقد الثاني من القرن العشرين، حيث فضل جهاد المحتل
بكل ما يملك
من وسائل، وعدم الاستسلام رغم العروض والإغراءات،
إلى أن وافته
المنية شهيدا على يد تلك القوة الصليبية الغاشمة التي
صممت اجتثاث
جذور الإسلام من المغرب وتنحية شريعته الغراء.

كما كان القائد محمد مخططا ومنظما إدارياء
تمكن أن يضع
لمدينة خنيفرة - وهو مؤسسها - خططها العمرانية، تبين
ذلك من
بناء القصبة والدور والثكنة العسكرية والمسجد والقيسارية،
واختطاط
الطرق وتدشين السوق، والاحتفاظ على نظافة المدينة
وأمنها.

كما توطدت العلاقة بينه وبين السلاطين العلويين، خاصة
السلطان الحسن الأول، الذي كان يستشيره فيمن يوليه على بعض
القبائل التي كان خبيرا بأحوالها.

وبما يملك من علاقات مع المخزن، وبما يكتسب من موهبة
التنظيم والتواصل مع الغير سواء كان عدوا أم صديقا، استطاع أن
يمارس جاذبية خاصة على قبائل زيان، وأن يوطد الأمن بينها، وأن
يضع حدا للخلافات التي تؤجج الصراع بينها، بهدف رص الصفوف
وجمع الكلمة والتكتل بناء على المصالح المشتركة.

الفصل الأول

خصائص شخصية القائد أمحزون محمد أوحمو الزياني

تمهيد

إن القائد أمحزون محمد أوحمو الزياني، رغم إمكانياته
المحدودة، استطاع أن يقف في وجه دولة عظمى وهي فرنساء ليلقنها
درسا في الصمود والإباء، ويبرهن لها على أرض الواقع أنه ليس من
اليسير أن تطأ أقدام جنودها أرض بلاد زيان على الخصوص، والأطلس
المتوسط على العموم، إلا بعد أن تدفع تضحيات جسيمة في الأرواح،
وخسائر كبيرة في العتاد والمعدات.

إننا أمام شخصية تتمتع بجملة من الخصائص والمزايا أهلتها
لتمسك بزمام المبادرة، وتكون هي الرائدة في تلك الفترة الحرجة من
تاريخ المغرب الحديث، وذلك لمواجهة تلك القوة الصليبية الغاشمة التي
صممت اجتثاث جذور الإسلام من المغرب وتنحية شريعته.

هذا عن جهة، ومن جهة ثانية كان هدفها استغلال الموارد
الطبيعية في هذا البلد المسلم لدعم الاقتصاد الفرنسي وتقويته.

وقبل حديثي عن خصائص شخصية أمحزون محمد أوحمو
الزياني، سألقي الضوء بادئ ذي بدء على أصله ونسبه.

الخاصية الأولى

النسب الشريف

إنه محمد بن حمو بن عقى بن أحمد المدعو أمحزون بن
موسى بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى بن لحسن بن سعيد ويشو
بن عبد الرحمن بن موسى بن محمد بن يعقوب (دفين تارمتاد من بلاد
تادلا) بن عبد الله بن موسى بن صفوان بن يسار ين موسى بن سليمان
بن يحي بن يوسي بن عيسى (دفين أيت عتاب) بن إدريس الأزهر (أي
إدريس الثاني) بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل.

وبهذا يرجع نسب محمد أوحمو رحمه الله إلى الشرفاء
الأدارسة، على أن أولعايدي بعد عودته من فاس في عهد السلطان
مولاي حفيظ استصدر فتوى من علماء فاس بشرف إمحزان.

ولأجل ذلك فإن أولى خصائص هذه الشخصية هي قوة الأصل
بالانتماء إلى عشيرة ذات ماض مجيد وأصل عريق.

الخاصية الثانية

الشجاعة

لا شك أنها من الصفات التي يتميز بها القائد محمد أوحمو
الزياني، وهذا باعتراف الأعداء قبل الأتباع والأصدقاء، وإلا كيف يمكن
لولا شجاعته وإقدامه أن يواجه جيش دولة عظمى مدجج بالسلاح
والعتاد.

ويذكر الذين أرخوا له بأنه كان منذ نعومة أظفاره مهتما
بركوب الخيل وبفنون الفروسية، حتى إنه في سن العشرين كان محاربا
من الطراز الأول، فوصفه معاصروه بأنه لا يشق له غبار في الحرب، إذ
كان يتمتع ببسطة في الجسم، ودقة في إصابة الهدف؛ ومهارة في
الالتفاف على الأعداء في ساحة الوغى.

الخاصية الثالثة

القدرة على جمع الأتباع

فبفضل ذكائه المتوقد وفطنته أثناء تعامله مع النخب التي
تقود قبائل زيان، استطاع أن يضع حدا للخلافات التي تؤجج الصراع
بين هذه القبائل، واحتوائها بطريقة تمكن من جمع الكلمة، ورص
الصفوف، والتكتل، بناء على المصالح المشتركة.

إن الروايات الشفوية تصفه برجل له القدرة على العمل بروح
الفريق، وهذا ما كانت تحتاجه قبائل زيان لبناء الوحدة ثم القوة ثم
السيطرة على الخصوم.

إن هذا الرجل العظيم يملك موهبة التنظيم والتواصل مع الغير
سواء كان صديقا أم عدوا.

وبحسه السياسي المتميز، استطاع أن يمارس جاذبية خاصة
على عدة قبائل انضمت إليه وكونت معه حلفا قويا، ومن هذه القبائل
أيت معي وآيت بومزوغ وآيت علا أوسعيد وآيت عبدوس، وقسما من
قبيلة إشقرن.

الخاصية الرابعة

استعمال سياسة العصا والجزرة لتحقيق الأهداف

لقد كان هذا القائد يواجه بالقوة وعدم التردد القبائل التي
رفضت الانضواء تحت لوائه، كقبيلة إبو حسسن، وأيت بويشي، وأيت
عمرو.

وبالمقابل كان يمد يد الصداقة للقبائل التي اختارت اتباع
النهج الذي وضعه لبناء حلف قوي متراص يفرض احترامه على
الجميع.
وهكذاء بحنكته السياسية وذكائه الحادء استطاع أن يلم شمل
القبائل بوسيلتين مختلفتين، لكنهما تؤديان في خاتمة المطاف إلى تحقيق
الأهداف المنشودة، ألا وهما الترغيب والترهيب، الحوار والحرب، إذ
يستعمل مع كل فئة أو قبيلة ما يناسبها من الوسائل.

وبهذا استطاع أن يقوض سلطة النخب، وهو من كان يطلق
عليه في التراث الشعبي (بكبار الجماعة)، ويقف في وجهها، ويهيمن
على قلوب الأفراد، وينال احترام القبائل.

الخاصية الخامسة

استخدام الاقتصاد كوسيلة لدعم السياسة والهيمنة

لقد كان القائد أمحزون محمد أوحمو الزياني يدرك أن
الاقتصاد وسيلة من وسائل الهيمنة السياسية، ولذلك وضع يده على أهم

قنطرتين تربطان ضفتي نهر أم الربيع؛ وهما قنطرة البرج وقنطرة بلدة
خنيفرة.

وذلك لعلمه بأن السيطرة على هاتين القنطرتين ستمكنه من
مراقبة طرق التجارة في المنطقة؛ ومراقبة عبور قطعان الماشية بالألاف
بين الجبل وأزغار، وهي حركة لا بد منها للقبائل القاطنة على ضفتي
نهر أم الربيع، والتي تمارس التنقل والانتجاع من مكان إلى آخر.

ولذلك فإن الرعاة ومالكي قطعان الماشية لا يمكن أن يتتقلوا
بين الجبل وأزغار إلا بإذن وحماية (أمغار) وهو أمحزون محمد أوحمو
الزياني.

وهناك أيضا بعد آخر في هذه السياسة، وهو أنه في الوقت
الذي تزداد فيه الضرائب على التجارة والماشية؛ في الوقت نفسه تزداد
سلطة القائد وتتأكد، ناهيك عن الهدايا والتحف التي كانت تأتي من كل
حدب وصوب لنيل رضا القائد. وهناك زاوية ثالثة في هذه السياسة
الاقتصادية، وهي أنه بهذه الموارد المتنوعة، استطاع القائد محمد
أوحمو الزياني أن يكمل تشييد القصبة التي ابتدأها والده حمو نعقى

رحمه الله.

ففي هذه المعلمة التاريخية التي لا زالت شاهدة إلى الآن على
بعد نظر هذا القائد، كانت تعقد الاجتماعات، وتبرم الاتفاقيات، وتتوثق
الصداقات، ويستقبل الضيوف والأتباع الذين كان عددهم يزداد باطراد.

وعلى العموم، فإن طموح هذا القائد الهمام وصفاته الخلقية
والخلقية، وهيمنته على طرق التجارة، جعلت منه قائد بلاد زيان بدون
منازع، الذي يحترمه الجميع.

الخاصية السادسة

انتهاز الفرص في الوقت المناسب لاتخاذ المبادرات

لقد كان لوقعة الهري الشهيرة أثر كبير في ذيوع صيت
البطل أمحزون محمد أوحمو الزياني، ليس على الصعيد المحلي
والوطني فحسب، بل على الصعيد الدولي.

ففي عام 1914 م اندلعت الحرب العالمية الأولى بين دول
المحور وهي: ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية؛ وبين دول الحلفاء
وهي : فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

ولما بلغ إلى مسامع الألمان والأتراك العثمانيين هزيمة فرنسا
النكراء في معركة الهري؛ اتخذوا قرارا بربط الصلة مع القائد محمد
أوحمو الزياني، فبعثوا إليه رسلا متخفيين في زي تجار، وكان يقيم

وقتئذ في بوسادر، وهو مكان يبعد عن الموقع الذي تحن
فيه الآن
(جنان إماس) حوالي كيلومترين تقريبا، فسلم إليه هؤلاء
الرسل خطابا
وأكياسا من المال.

وفي الغد عقد القائد ندوته المعروفة بين أولاده،
وقرىء
الخطاب الذي أذكى فيهم حماسا زائدان إذ وعده
الأمبراطور الألماني

والسلطان العثماني بمده بالعتاد والمال، وكل ما يحتاج إليه لمواجهة
ومناهضة المحتل الفرنسي، العدو اللدود لألمانيا والدولة العثمانية.

وها هنا انتهز القائد محمد أوحمو هذه الفرصة السانحة
ليوجه خطابا مع هذا الوفد إلى الدولتين المتحالفتين ألمانيا والسلطة
العثمانية جاء فيه : "إننا لا نرضخ لعدو ديننا وعدو نبيناء ولا تتراءى
معه أعيننا، فليطمئن خليفة الإسلام (أي السلطان العثماني) وقائد
الألمان".

وقد كتب هذا الخطاب كاتب القائد محمد أوحموء وهو العالم
عبد الرحمن النتيفي صاحب المصنفات المعروفة ومنها: نظر الأكياس
في الرد على جهمية البيضاء وفاس.

الخاصية السابعة

الثبات على المبدأ

ومن خصائص هذه الشخصية المتميزة الثبات على المبدأ
وعدم قبول المساومة وأنصاف الحلول مع المحتل، فقد استعمل رئيس

المعسكر الفرنسي في مكناس الجنرال هنريس في البداية أسلوب
الترغيب لاستمالة القائد محمد أوحمو الزياني، فارسل إليه بوفد يرأسه
القائد إدريس أورحو المطيري قائد بني مطير والحاجب.

وجاء هذا الوفد بهدايا نفيسة وثمينة ولكنه لم يفلح في إقناع
القائد محمد أوحمو بالاستسلام رغم الوعود المجزية، فرجع بخفي
حنين.

وقد حاول الجنرال اليوطي المقيم العام الفرنسي قبل الجنرال
هنريس استمالة القائد محمد أوحمو بواسطة شخصيات مرموقة في
الجهاز المخزني، وخاصة الوزير إدريس البوكيلي، وباشا مدينة أبي
الجعد الحاج إدريس الشرقاوي، ثم بواسطة أولاد القائد محمد أوحمو في
مؤتمر وادزم. لكن تلك المحاولات كلها لم تفلح في رضوخ القائد.

بل حتى الحل العسكري والاستعمال المفرط للقوة لم يثنيه عن
عزمه وتصميمه لمواصلة الجهاد، حتى سقط صريعا شهيدا، مقبلا غير
مدير في المكان المسمى أزلاك نتزمورت بجبل تاوجكالت شرقي جنوب
خنيفرة على نحو 35 كيلومتر منها، تغمده الله عز وجل برحمته
الواسعة وأسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب.

الفصل الثاني

إنجازات القائد أمحزون محمد أوحمو الزياني في مدينة خنيفرة

تمهيد

في سنة 1886 م استدعى السلطان الحسن الأول القائد محمد
لزيارته في مدينة فاس، وكانت مناسبة فريدة للاتصال بصناع وتجار
هذه المدينة للحديث عن بناء مدينة خنيفرة.

لقد كان هذا المشروع الذي يقوم على توسيع عاصمة زيان
وجلب المزيد من السكان إليها، وتنظيفها وتزيينها يهيمن على مخيلة
هذا القائد الكبير.

لقد قضى في فاس هو ومرافقيه أياما للدعاية لمدينته،
والهدف هو جلب الصناع الحاذقين وكبار التجار إليها. ولينجز ذلك
الوعد الذي قطعه على نفسه كانت الوعود والإغراءات للصناع مهمة
ومغرية.

وبعد إنهاء الزيارة الرسمية للسلطان، عاد القائد محمد ومعه

زوجة من فاس، هي التي أنجبت ولده معمي. ومعه كذلك مجموعة من
الصناع والتجار، كما أصحب معه من فاس قاضيا هو مولاي علي بن
محمد للبث في فضايا الأسرة من زواج وطلاق وغير ذلك.

تصميم مدينة خنيفرة

أول شيء بدأ به القاند محمد هو النظر في تصميم مدينة
خنيفرة، فارتأى أن يكون موقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر أم
الربيع، بينما يتم تشييد القصبة على الضفة اليسرى لهذا النهر.

وهذه القصبة عبارة عن سور كبير ذي أبراج، تشتمل على
قصر مزين بالقرمود الأخضر يأوي حريم القائد مع أبنائهن. أما أولاده
الكبار وهم حوسى أوحمو، وحسن، وأمهروق، وكذلك ابن أخيه
أولعايدي، فقد شيدوا منازل مزخرفة على الضفة اليمنى للنهر بمحاذاة
المسجد.

وقد أصدر القائد أوامره لبناء منزل خاص بالقاضي مولاي
علي بن محمد الذي اصطحب معه أسرته من فاس، كما تم بناء ثكنة
خاصة بعساكر السلطان، وهم ثلاثمائة جندي كلفهم السلطان الحسن
الأول بدعم القائد محمد حين عينه بمقتضى الظهير الشريف قائدا
لمنطقة زيان.

وإلى جانب الثكنة العسكرية، تم تشييد منزل خاص بقائد

الرحى، وهو الذي يتولى إمرة العساكر السلطانية المقيمين
في خنيفرة.

كما نجد منازل ودورا منمقة في ملك رجال ثقات ذوي
علاقة
خاصة بالقائد محمد، كعمر المراكشي الذي كان مديرا
للشرطة في
خنيفرة، والقادة العسكريين عزوز الدكالي والكاكوري الذين
يتولون أمر

الكتيبة العسكرية السلطانية، ومبارك الشقيرني الذي كان يقوم بمهمة
شرطي الأخلاق.

وبعد ذلك؛ تم بناء المسجد الجامع على القرب من القنطرة
التي كانت تربط بين ضفتي نهر أم الربيع.

وفي الموقع الأعلى من المدينة تم تدشين سوق نصف
أسبوعي يعمل يومي الخميس والسبت، على أن الطريق المؤدية إليه
محفوفة عن اليمين والشمال بمائة وثلاثين دكانا في متناول التجار
الحضريين الذين يأتون إلى السوق لبيع بضائعهم.

وبالقرب من هذا السوق، توجد قيسارية، وهي عبارة عن
سوق مغطى يباع فيها قماش الحرير وأدوات الزينة من الذهب والفضة،
وتحتوي على ثلاثين دكانا مخصصة للتجار القادمين من مدينة فاس،
ويحيط بها المسجد من جهة، والثكنة العسكرية من جهة ثالثة.

يضاف إلى ذلك إصدار تعليمات لبناء حمام عمومي يخضع كل
سنة للمزاد العلني ويؤجره من يدفع أكثر.

هذه هي أهم المنشآت التي صممها ونظمها القائد محمد

ونفذها أبناؤه وأتباعه وأجناده في مدينة خنيفرة.

توزيع الوافدين إلى مجموعات جغرافية وحرفية

ثم بعد ذلك تم الترخيص للناس لبناء مساكنهم، وهاهنا نلاحظ
أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن القاطنين بمدينة خنيفرة كانوا عبارة عن
مجموعات من الناس أتوا من مناطق مختلفة من المغرب، حيث أتى
حوالي 200 شخص من فاس، و300 شخص من تافيلالت، و100
شخص من أبي الجعد، و100 شخص من تادلا، و90 شخص من
البخارى والشراردة، وهم من قدماء المحاربين التابعين للسلطان، و40
شخصا من بني حسان، و30 شخصا من بني زمور والسماعلة [1].

الأمر الثاني: أن هذه المجموعات البشرية كانت موزعة
حسب تخصصها المهني، أي على مستوى الحرف. فنجد حي
الصحراريين من تافيلالت الذين يمتهنون حرفة الدباغة، وكانوا يقيمون
في دشرة آيت يحيى محيطين بمنزل أمين حرفتهم سيدي عثمان، وكان
يباع في حيهم بعض السلع كالجلد والحناء.

---

1 Armand pradel : Moha Ou Hammou le zaiani

أما القادمون من أبي الجعد فقد كانوا أساكفة يصلحون
الأحذية القديمة، وكانوا مجتمعين حول أمين حرفتهم إدريس أوهدنا الذي
توفي فيما بعد بأدخسال.

وأما بائعو المواشي من بقر وغنم ومعز، فقد كانوا يقيمون
في دشرة صالح ولد دمنا وهو من أبي الجعد. على أن التجارة في

المواشي كانت وقتئذ مربحة إلى حد كبير لمن يعرف أن يتعاطى معها،
إذ كان الاقتصاد في بلاد زيان يقوم أساسا على الكسب وتربية المواشي.

وبالنسبة لتجارة فاس، فكانوا مجتمعين في القيسارية
المخصصة لهم، وفيها ثلاثون دكانا تم الإشارة إليها آنفا. وكانت تقع
هذه القيسارية بين المسجد الجامع والزاوية التيجانية، وقد تم تخصيص
الإيجار الذي كانوا يدفعونه وهو 90 دورو حسني، لصيانة المسجد
وشراء مستلزماته من الفراش والإضاءة وراتب المؤذن.

أما أهل سوس فكانوا مهتمين ببيع مواد التموين والسلع
الغذائية، وكانوا يتمركزون في الطريق المؤدية إلى السوق الجديد، حيث
يوجد 130 دكانا. وكان إيجار كل دكان هو 2 دورو حسني. على أن
الإيرادات من هذه الدكاكين المستأجرة كانت تخصص للصرف على
الزوايا.

الاهتمام بالزوايا

ومنها الزاوية الدرقاوية ذات الصلة بالمرابط سيدي بن داود

في أبي الجعد، وكان الأتباع يأتون إليها من أبي الجعد ودمنات، وكان
مقدمها يسمى سيدي محمد العربي.

ومنها الزاوية التيجانية، وكان أتباعها من تجار فاس وبعض
الجند، وقد أرسل إليها السلطان الحسن الأول مقدما هو سيدي علال
الذي كان جنديا فيما مضى.

أما صحراويو تافيلالت وسكان مراكش فكانوا يرتادون
الزاوية القادرية المنتمية إلى عبد القادر الجيلاني، وكان مقدمها أبا عبد
الله من تافيلالت. وبالنسبة للزاوية العيساوية ذات العلاقة بسيدي محمد
بن الصديق، فكان أتباعها يأتون من واد درعة وتافيلالت وتوات.

وقد منح القائد محمد مقدمو هذه الزوايا الأربعة الحق في
جمع التبرعات والصدقات للصرف على مصالحهم، وفرض على البقالين
من أهل سوس منحهم الزيت لإضاءة المصابيح، كما تم الاستفادة من
موارد بعض الأوقاف التي يديرها أولعايدي للصرف عليها.

وكان بعض أولاد القائد محمد وأقاربه يحرصون على حضور
صلاة الجمعة مرفقين بأتباعهم، وذلك بحضور القاضي الذي كان يودي
وظيفة الإمام الخطيب، بينما كان عمر الغريسي يتولى وظيفة الأذان في
المسجد.

الحرص على نظافة المدينة

لقد أولى القائد محمد عناية خاصة لمدينة خنيفرة، وكلف ابن
أخيه أولعايدي بالسهر على تسيير شؤونها على أحسن وجه.

ولأجل ذلك كانت التعليمات تقتضي بأن يقوم كل مالك بتنظيف
أمام منزله، إما بنفسه أو يدفع مبلغا زهيدا من المال لمن يتولى ذلك من
عمال النظافة الذين يعيشون من هذه المهنة.

وكان أولعايدي هو وخليفته عمر المراكشي يقومان بجولة
في أحياء المدينة ليتأكدان هل شؤون النظافة على ما يرام. ومن يخالف

إجراءات النظافة يدفع غرامة مالية. وكانت الشرطة تساعد أيضا في
مراقبة شؤون النظافة، كما تقول المصادر.

أما الشرطة التي يتكون أفرادها من أتباع القائد محمد فكانت
المهام المنوطة بهم تقتضي حراسة المدينة بالليل عن طريق دوريات
تجوب أحياء المدينة للسهر على الأمن. وبالنهار يحضرون إلى
المحكمة، فيقومون بتقديم الجناة والسكارى إلى العدالة. وكذلك من
مهامهم البحث عن الشهود والإتيان بهم. وكانت أحكام القائد محمد تنفذ
فورا بدون تأخير لردع الظلمة والفسقة، على أن الشرطة القضائية كانت
تابعة للقائد محمد، بينما كانت الشرطة البلدية تابعة لابن أخيه أولعايدي.
وكانت الأحوال الشخصية موكلة للقاضي مولاي علي وكان القائد محمد
يستشيره في قضايا الشرع.

وفي حالة الخلاف بين شخص وصاحب حرفة معينة، فإنه
يستدعى أمين الحرفة للتشاور معه قبل إصدار الحكم. وقد كان لأمناء
الحرف بعض النفوذ في المدينة، فبالإضافة إلى استشارتهم في القضايا
المتعلقة بحرفهم، فإنهم كانوا مسؤولين عن توزيع العمل، وإنتاج ما
يكفي من السلع لحاجيات المدينة.

أما على صعيد العلم والتفقه في الدين، فقد كان للقاضي
المذكور أعلاه صلة بأربعة أشخاص يحفظون كتاب الله تعالى، وكلفوا
بفتح كتاتيب قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء التجار. وقد أحصى
الفرنسيون في عام 1917م عدد اللوحات التي كانت تكتب عليها سور
القرآن الكريم، فكانت كثيرة، مما يعني حرص سكان مدينة خنيفرة الزائد

على تحفيظ أبنائهم كتاب الله عن ظهر قلب. وقد لوحظ أن الكتابة على
هذه اللوحات كانت جيدة، وبدون أخطاء إملائية، كما وجد المحتلون
الفرنسيون في بعض الدور دفاتر فيها قواعد النحو العربي، كان القاضي
مولاي علي يلقنها لبعض التلاميذ. كما وجدوا كتبا فيها أذكارا ذات
علاقة بالزوايا الطرقية المذكورة آنفا والموجودة بالمدينة.

الجيش النظامي في خنيفرة

لقد كان الجيش النظامي ممثلا بحامية عسكرية عددها 600
جندي، كان قد أرسلهم السلطان الحسن الأول إلى القائد محمد، مما
يوحي بالعلاقة الوثيقة بين السلطان الحسن الأول والقائد محمد.

ولقد كانت الدولة المغربية هي التي تمول بالعتاد هذه
الحامية، كما تدفع رواتب الجند في عهد السلطان الحسن الأول، وفي
السنين الأولى من عهد الساطان عبد العزيز.

وفي هذه الفترة لم يكن القائد محمد هو الذي يصدر الأوامر
أو يدير هذه المحلة المخزنية، وإنما يعود أمر إدارتها لمعتمد عسكري

يحمل لقب أمين عالف، وآخر يلقب بقائد الرحا. وقد قتل هذا الأخير
ويسمى الزكاكي في معركة ضد إشقرن.

والمعروف تاريخيا أن إشقرن شقوا عصا الطاعة على الدولة
العلوية، إذ تمردوا على السلطان سليمان من قبل، وقتلوا فيما بعد ابن
عم السلطان الحسن الأول مولاي سرور، فكان السلاطين العلويين يشنون
حملات عسكرية من فترة إلى أخرى على مناطق إشقرن لردعهم.

وعندما قتل قائد الرحا الزكاكي، أخذ مكانه عزوز الدكالي،
ولما توفي تقلد مهام الحامية بدلا منه الطبجي سي قاسم البخاري.

وبالإضافة إلى هؤلاء القادة العسكريين، كان للسلطان الحسن
الأول عين في بلاد زيان، وهو الحسن الشبوكي (*) الذي ينقل إليه أخبار
المنطقة.

لكن تنبغي الإشارة إلى أن القائد محمد كان يستعين بهذه
الحامية العسكرية في حروبه ضد القبائل التي كانت تناوئه وتنافسه على
النفوذ.

الشؤون المالية

لقد فرض القائد محمد على رعاياه بعض الضرائب التي تجبى
باسم السلطان، ومنها: الزكاة والعشور وضريبة الرؤوس. كما كانت
تفرض على التجار في المدينة بعض الضرائب والرسوم.

وقد أحصت المصادر مائة وخمسون دكانا في السوق الجديد،
يدفع على كل دكان منها شهريا اثنين دورو حسني. كما أن القيسارية

التي يهيمن على شؤونها تجار فاس ويباع فيها الحرير والأجواخ
والأقمشة القطنية والأغطية وأدوات الزينة من ذهب وفضة، تؤدى جعلا
أو ضريبة شهرية.

كما أن سيطرة القائد محمد على قنطرة البرج وقنطرة خنيفرة
مكنتاه من فرض رسوم على آلاف قطعان الماشية التي كانت تعبر من
الجبل إلى أزغار، وفي الاتجاه المعاكس.

(*) هكذا في المطبوع والصواب: "الحسين الشبوكي"

على أن المسؤول عن جباية الزكوات والعشور والرسوم
و ختلف الضرائب الموظفة على القطاعات الحيوية هو
أولعايدي. هذا
من جهة الواردات أو المداخيل، أما المصاريف فكانت تتدرج
تحت ثلاثة
بنود وهي:

الأول: اللائحة المدنية
الثاني: الحامية العسكرية
الثالث: التبرعات والعطايا ونفقات التمثيل

وقد انتبه القائد محمد إلى مسألة مهمة جدا، وهي
تشجيع
رواج السلع لازدهار الاقتصاد المحلي. ولذلك أعفى السوق
الأسبوعي
من الضريبة، فكان لا يجبى أي رسم على أي سلعة كيفما
كان نوعها.
وهذه الطريقة في إدارة الاقتصاد يطلق عليها في عصرنا
الحاضر:
سياسة المناطق الحرة اقتصاديا، إذ تشجع على ازدهار
التجارة وجلب
المستثمرين بإلغاء الضرائب والحواجز الجمركية.

وكان السوق في خنيفرة ينعقد يومي الخميس والسبت
ويأتيه
التجار والناس من منطقة سوس وتافيلالت والأطلس
وفاس ومكناس
وغيرها من الحواضر.

وفي الختام: لقد تمكن القائد محمد بذكاله وفطنته
أن يضع

لمدينة خنيفرة خططها العمرانية، فعمر وسطها على ضفتي نهر أم
الربيع.

على أن التنظيم العمراني في أماكن الإقامة الدائمة يصدر عن
خطة شاملة ترى أبعاد الكل بأجزائه: تبين ذلك في المدينة من بناء
القصبة والدور والثكنة العسكرية والمسجد والقيسارية، واختطاط
الطرق، والحفاظ على التوازن بين مكونات المدينة حتى لا تخلى جهة
على حساب جهة أخرى، والحرص على السوق لعلمه أن الاستقرار لا
يقوم إلا به، فهو مصدر التكسب والتجارة والحرف وحركة الأموال
والناس، والاهتمام بنظافة المديئة وأمنها، وفرض الضرائب، وتنظيم
المهن، مما جعله مخططا ومنظما وإداريا من الطراز الأول.

الفصل الثالث

عوامل النصر في معركة الهري

تمهيد

ابتدءا من عام 1911م. وخاصة بعد التوقيع على معاهدة
الحماية، فإن المؤشرات تدل على أن المقاومة الجهادية في المغرب
ستفقد دعم المخزن والعلماء.

فقد آل وضع السلطة المركزية إلى الضعف، وأغلب العلماء
في صمت يتناقض مع المسؤولية الملقاة على عاتقهم لتعبئة الجماهير
وإعلان الجهاد، إذ بقي في الساحة رجال قلائل أعلنوا الجهاد لحماية
استقلال البلاد، منهم المجاهد البطل القائد محمد الذي جاءت الرسائل من
مختلف أنحاء المغرب تحثه على حمل مشعل راية الجهاد، لوقف زحف
قوات المحتل الأجنبي الصليبي على ربوع المغرب.

فمن مدينة فاس أرسل المشرفي قصيدة إلى خنيفرة يحث فيها
قبائل زيان على متابعة الجهاد، وكذلك انطلقت صيحات الجهاد من
الشريف مولاي أحمد السباعي بآيت سغروشن.

وفي تافيلالت راهن الشريف أبا سيدي على يقضة إمزيغن
لتحرير البلاد، وفي قلب زيان قام سيدي محمد أوعزيز مرابط زاوية
سيدي عمر بتحفيز مشاعر الناس بخطبه الملهبة للمشاعر.

ولثني القائد محمد عن الجهاد ضد الفرنسيين، أمر المقيم
العام في الرباط بالاتصال به وإغرائه بالمنصب والمال لترك الجهاد،
وكان الجنرال موانيه أول ن بدأ الاتصال بالقائد محمد عندما لاحظ
استبسال فرسان زيان أثناء المعارك التي جرت حول مكناس وفاس.

وعندما لم تثمر هذه المحاولة واصل المقيم العام الجنرال
ليوطي هذا الأسلوب عن طريق شخصيات مخزنية مثل الوزير إدريس
البوكيلي وباشا بجعد إدريس الشرقاوي، ولكن بدون جدوى.

وبعد أي اتصال، كان القائد محمد يردد مقولته المشهورة
"إنني لن ألتقي مع نصراني إلا عبر فوهة بندقيتي".

ومن نافل القول أن القائد محمد يعلم جيدا بأن الارتباط مع
الغازي يعني خيانة مبادئه، وخيانة الأمانة التي استودعتها إياه قبائل
زيان حين شاركت معه في معارك الشاوية وفاس.

تعبئة الشخصيات النافذة في الأطلس المتوسط

كان من أهم الأعمال التي قام بها القائد محمد لمواجهة هذا

التحدي الكبير الذي قلب موازين القوى في المنطقة، هو تعبئة
الشخصيات النافذة في الأطلس المتوسط حين بدأت القوات الغازية في
اخضاع قبائل الشاوية في عام 1908م، فأعلن الحرب المقدسة ضد
المحتلين.

وكان القائد محمد بعيد النظر وذا رؤية ثاقبة حين اتصل
بأعدائه ومنافسيه القدامى وهم: علي أمهاوش المهيمن على منطقة

القباب، ومحمد أسعيد صاحب القصيبة، والقائد أقبلي الذي كان نفوذه
يشمل مريرت وأزرو وأولماس.

وهكذا كون تحالفا قويا منع الفرنسيين من وضع أقدامهم
بسهولة في الأطلس المتوسط. وقد دشن تدخله الأول ضد المحتل الغاشم
بإرسال التعزيزات إلى المجاهدين في منطقة الشاوية.

وحين وصل الفرنسيون إلى خنيفرة بعد معارك طاحنة مع
المجاهدين، انسحب القائد محمد من المدينة إلى الهري انسحابا تكتيكيا،
منتظرا الوقت المناسب للانقضاض على أعدائه.

السياسة الحربية لفرنسا في الأطلس المتوسط

هناك قضية جوهرية يجب إلقاء الضوء عليهاء وهي السياسة
الحربية لفرنسا في الأطلس المتوسط.

فعندما أيقنت هذه الأخيرة أن حرب العصابات في جبال
الأطلس المتوسط كلفتها كثيرا من الخسائر في العتاد والرجال، أخذت في
وضع خطة على مدى سبع سنوات، وبذلت من خلالها جهودا مضنية
لاستمالة المجاهدين وعلى رأسهم القائد محمد.

وكان دهاقنة الاستعمار يطلقون على هذه الخطة: "الحرب
السياسية الطويلة". فقد كانت هذه السياسة تضع في الحساب جميع
المصالح والمفاسد والمشاكل والعوائق في الطريق، والمغامرات
والدسائس لتفكيك وحدة قبائل زيان المناوئة للاحتلال، وإعداد مراحل
إخضاعها.

ومن الأساليب التي انتهجها المحتل لكسر شوكة المقاومة
إغراء الأهالي بشتى الوسائل لترك ميدان الجهاد وقبول الصلح مع
الغزاة.

ومن هذه الوسائل تقديم خدمات طبية مجانية للمصابين في
المعارك، والسماح للأهالي بالمشاركة في مباريات الرماية التي ينظمها
المحتلون في ضواحي خنيفرة، وتوطيد العلاقات مع بعض الأفراد من
عائلة القائد محمد، وإغراؤهم بالمال والمناصب إذا تركوا الجهاد
وانضموا إلى صفوفهم.

وعلى العموم، تم نهج سياسة الترغيب والترهيب وسياسة
العصا والجزرة مع المناوئين على لسان أحد الضباط الفرنسيين الذي
صرح: "بأن أعداءنا الذين اختاروا الانضمام إلينا سيجدون الطعام
الأبيض جاهرا للأكل، أما أعداؤنا الذين رفضوا الانضمام إلينا فسنمنحهم
الطعام الأسود (يقصد البارود). وهكذا حان وقت الاختيار الصائب (على
حد زعمه)".

كما أن الاحتلال اعتمد على جهاز منظم من المخبرين الذين

يأتون بالمعلومات والأخبار التي تفيد الغزاة في اختيار أسلوب التعامل
الذي يضمن لهم احتواء قبائل زيان؛ والوصول إلى المنهزمين نفسيا
الذي يرغبون في الخضوع للمحتل والانضواء تحت إمرته.

وهؤلاء تم تسليحهم لقتل إخوانهم في الدين والعقيدة، ومن
ثم إضعاف معسكر الجهاد. على أن هذه السياسة اللعينة "فرق تسد"

انتهجتها فرنسا في المحميات لضرب الأهالي بعضهم ببعض وافشال
عمل الوحدة الذي يقود إلى الائتلاف والقوة والنصر.

العوامل التي أدت إلى النصر في معركة الهري

لكن رغم هذه الحرب السياسية الطويلة التي انتهجتها فرنسا
إلا أن هناك عدة عوامل ساهمت في انتصار المجاهدين وهي:

العامل الأول: لقد كان لخصائص المنطقة الجبلية الوعرة في
الأطلس المتوسط دورها الرئيس في إعاقة الاكتساح العسكري الفرئسي
لها بسهولة.

العامل الثاني: الروح القتالية العالية لدى قبائل زيان، لأنها
كانت متيقنة بأن جهادها وتضحيتها لن تذهب سدى، فهي تنتظر إحدى
الحسنيين: إما النصر أو الشهادة، وتبوأ المنازل العليا في جنات النعيم.

وها هنا لابد أن نؤكد على مبدأ الإيمان الذي أمد المجاهدين

بقوة روحية لا تقهر، إذ حمل لواء نشر الفكر الجهادي والدعوة إلى
مقاومة الاحتلال في القرى والجبال والمدن فقهاء وعلماء ومرابطون
وطلبة مساجدء، فساهمت الدعوات والرسائل والقصائد الحماسية الداعية
للجهاد والحاثة عليه في إلهاب حماس المجاهدين ودعمهم بالزاد
الروحي الذي أبرز تلك الملامح البطولية التي سطرتها قبائل الأطلس في
حروبها ضد الغزاة النصارى.

وحول هذا المبدأ المقدس، تناست القبائل خلافاتها وشنآنها،
فوحدت موقفها ووقفت صفا متراصا ضد المحتلين.

العامل الثالث: لم يحتل الفرنسيون إلا القرى والمدن، وبقي
أغلب المحيط الجبلي بيد المجاهدين، مما جعل الغزاة يركزون جهودهم
في عمليات الدفاع عن بقاء تلك النقط والجيوب بيدهم وتحت سيطرتهم،
مما شحد همم المجاهدين وجعلهم في موقف الهجوم، وما خلفه ذلك من
خسائر فادحة للعدو، وألقى الرعب في نفوس جنوده المرتزقة
أو المحترفين.

العامل الرابع: حصول نوع من التآزر والتعاون بين القبائل
في المنطقة، حيث تبادلت البرنوس على عادتها، إشارة إلى التحالف ضد
العدو.

العامل الخامس: كانت قبيلة زيان نموذجا لبطولات قبائل
المنطقة بصمودها في كثير من المعارك وبروز عدة أبطال فيها، مما أثر
في معنويات العدو باعترافهم أنفسهم. وأقدم للحضور الكرام نماذج من
هذه التصريحات:

يقول Guy Martinet عن القائد محمد: "بأنه رجل حرب
وقائد، وفارس مرعب ومخيف، اشتهر في الدفاع عن الأطلس المتوسط

في بداية القرن العشرين، وهذا المقاوم صعب الترويض والتطبيع، كبد
فرنسا أكبر كارثة في تاريخ ملحمتها الكولونيالية".

ويقول المقيم العام الجنرال ليوطي: "لا يمكن إطلاق عملية
عسكرية صغيرة، ونحن نعلم أننا نواجه قبائل محاربة من الطراز الأول
في بلد صعب الاختراق من حيث الطبيعة".

ويصف النقيب Limousis رئيس مكتب الشؤون الأهلية في
خنيفرة المقاتلين الزيانيين: "بقدرتهم القتالية العالية التي تزداد حدة كلما
حاربوا قرب موطنهم".

العامل السادس: عدم إغفال الحديث عن أساليب القتال، بذكر
استعمال القبائل الزيانية لأسلوب حرب العصابات، ونصب الكمائن
والفخاخ للعدو في كل مكان للإيقاع بالجنود، ومهاجمة قوافل التموين،
مما أربك القوات الفرنسية وجعلها تتقاعس عن الرد السريع على
عمليات فرسان القبائل.

على أن أسلوب حرب العصابات أثبت جدارته في استنزاف
قوات العدوء مهما كانت كثيرة وجيدة التسليح في حروب المقاومة قاطبة
في العصر الحديث.

العامل السابع: لقد كان وضع القوات المحتلة في خنيفرة
صعبا للغاية، خاصة لما وصلت الأخبار عن بداية الهزائم الفرنسية أمام
دول المحور في أورباء خاصة ألمانيا، فاضطر الجنرال ليوطي للتوجه إلى
خنيفرة صحبة الجنرال هنريس للرفع من معنويات جنوده المنهارة.

وقد أصدر هذا المقيم العام الماكر الداهية تعليماته قصد جلب
الأعيان بمختلف الوسائل، بواسطة الإغراءات والرشوة، وكذلك توسيع
شبكة التجسس عن طريق المخبرين، وترك الحرية للقيادة العسكرية
الحربية في استعمال الأسلحة حسب الظروف.

العامل الثامن: عدم إتاحة الفرصة للقوات المهاجمة في
الهري بالتراجع، إذ لم يبتعد القائد محمد عن معسكره في الهري،
فسرعان ما وضع خطته التي تهدف إلى منع القوات الفرنسية من
التراجع إلى حين وصول مقاتلي القبائل المساندة له، ومع مرور الوقت
حوصرت القوات الفرنسية من جميع الجهات، مما خلف الذعر بين
صفوفها وفرار كثير من جنودها، فكانت خسائر العدو جسيمة، ونزل
خبر الهزيمة كالصاعقة على الدوائر العليا الفرنسية في الرباط وباريس.

العامل التاسع: لما دخل الجيش الفرنسي المعسكر لم يجد
أمامه أية مقاومة تذكر، مما منحه الثقة في النفس، فلم يعر للوقت أي
اهتمام، فانشغل الجنود بسلب ونهب المعسكر، وربما ساد الاعتقاد أن
القبائل لن تساند القائد محمد، وخاصة التي كانت في خلاف معه كآيت
بوحدو وإشقرن وآيت عمو عيسى.

لكن هذا الاعتقاد كان خاطئا، لأن القبائل الجبلية مهما بلغت
درجة خلافاتها، فإنها تتحد في وقت الشدة أمام أي خطر يهدد كيانها،
حيث هبت القبائل القريبة والبعيدة للنجدة في الوقت المناسب.

وتذكر المصادر أن عدد المجاهدين ارتفع أثناء المعركة ليصل
مع تحالف القبائل المجاورة، كإمرابظن، وإشقرن، وآيت إسحاق، وأيت سخمان.

كما أن معرفة المجاهدين الجيدة للميدان الذي
جرت فيه
المعركة، وحسن تدبيرهم لإمكانياتهم المتواضعة،
واستماتتهم القوية،
شكلت مع العوامل الآنفة الذكر قوة رادعة للوصول إلى
النصر.

نتائج معركة الهري

أما نتائج هذه المعركة فكانت وخيمة بالنسبة للغزاة :

النتيجة الأولى: لقد أحدث نصر المجاهدين فرحا عظيما
في
ربوع المغرب، مما كسر حاجز الخوف في نفوس الناس،
وبدات حركة
المقاومة ضد المحتلين في كثير من المناطق مثل : تادلاء
والقصيبة،
وتافيلالت، وممر تازة، والريف.

النتيجة الثانية: لقد تمخض عن هذه الهزيمة الشنعاء
بالنسبة
لفرنسا أن تنتظر، رغم تفوقها العسكري عشرين سنة،
حتى يتم لها
إخضاع جميع المناطق في المغرب.

النتيجة الثالثة: إن معركة الهري من جهة تجسد حلقة
الكفاح
الوطني المغربي المسلح الطويل الذي استمر إلى ما بعد
1934م . ومن

جهة ثانية بدأت تتشكل بفضل هذه المعركة أشكال الوعي الوطني
السياسي في الذاكرة و الوجدان الشعبي المغربي. مما مهد الطريق
لظهور الحركة الوطنية التي ربطت الحاضر بالماضي المجيد، ورسخت
في نفوس المقاومين الإرادة المناضلة الرافضة للاستسلام، ورفعت من
العزائم والمعنويات مترصدة الوقت المناسبة لاستئناف المعركة، وتجديد
أدوات النضال وتنويع أساليبها.

الفصل الرابع

علاقة عائلة أمحزون بالسلاطين العلويين

علاقات قديمة

لقد بدأت الاتصالات المبكرة بين عائلة أمحزون والسلاطين
العلويين منذ عهد السلطان سليمان، وكان لأحمد أمحزون وهو الأب
الرابع للقائد محمد يد بيضاء في وقعة هذا السلطان مع إشقرن حلفاء
أمهاوش، وأنه كان ممن صد ورد بعض الغارات الشعواء على المحلة
والحريم، ولاشك أن هذه الأحدوثة وصلت إلى آذان السلطان المولى
الحسن.

في عهد الحسن الأول

لكن العلاقة توثقت بشكل أكيد بين الجانبين في عهد الحسن
الأول وتعود إرهاصاتها الأولى إلى عدة أمور منها:

- أن القايد محمد كانت فيه وداعة ورأفة، فلم يكن فضا غليظ
القلب، بل كان يحب الشرفاء العلويين النازحين إلى خنيفرة من تافيلالت،

فيصلهم بالأموال ويحسن إليهم، وهؤلاء كانت لهم علاقة مميزة بدار
المخزن، ومن الراجح أن بعضهم حين مثلوا أمام السلطان بلغوه ذلك.

- بالإضافة إلى أن الشريف المحنك الحسين الشبوكي، وكان
عينا للمخزن على القبائل الأطلسية، وكان بينه وبين السلطان مراسلات،

وكان صلته أيضا بالقائد محمد وثيقة، فمهد الطريق لدعم العلاقة بين
السلطان والحسن الأول.

وتذكر المصادر إلى أن تنصيب محمد أوحمو قائدا على زيان
من قبل السلطان الحسن الأول كان في عام 1877م الموافق 1294هـ.

وأول كتاب من السلطان الحسن الأول لهذا القائد هو بتاريخ
1881م الموافق 1298هـ. ونصه بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم : "خديمنا الأرضى القائد محمد أوحمو الزياني، وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
وبعد، فقد وصلنا كتابك في شان الشرفاء
الشبوكيين القاطنين بزيان، وعلمنا ما ذكرت منهم. فقد جددنا لهم
الظهير الشريف، وأبقيناهم على عادتهم وأسلافهم'".

وحين رحل السلطان الحسن الأول من مدينة مكناس إلى بلاد
زيان في الخامس عشر من رمضان عام 1305هـ الموافق 18 مايو
1888م تلقاه على أبوابها قائده المخلص محمد أوحمو في أزيد من ألف
فارس ورافقه حتى حل بقبيلة زيان وخيم في قصبة جده المولى
إسماعيل في أدخسال شرقي خنيفرة على نحو 10 كيلومتر منها.

وقد تم إعداد خيمة كبيرة في أدخسال نزل فيها السلطان مع
وزرائه وكبار موظفي الدولة، ودار حوار طريف بين السلطان والقايد
محمد حول قضية متمردي أغبالا، وتبين للسلطان الحسن الأول بأن
القايد محمد خبير بأحوال آيت سخمان وآيت يعقوب أوعيسى، وفوض له

أمر النظر في شؤون هذه القبائل المتمردة التي قتلت عم السلطان مولاي
سرور.

وقد استشار السلطان الحسن الأول القائد محمد فيمن يوليه
على هذه القبائل، فأشار عليه بتولية القائد بوعزى على آيت عبد
الكريم، والقائد إسماعيل على آيت مشان، والقائد (*) على آيت يعقوب،
والقائد غودان على آيت حماد أوعيسى، والقائد محمد أوبوعزة على
آيت إسحاق، والقائد ابن زياد على آيت إيحندء والقائد الحاج مزوغ على
آيت هودي.

وفي تلك الأثناء جاء أولعايدي وهو واقف خلف قائد المشور،
وماسكا بيده رابحة ابنة القائد محمد، فقام القائد محمد بنفسه فهداها
للسلطان وطلب منه أن يقبلها ضمن حريمه. وهذا الموقف دليل على
مشاعر المحبة والمودة التي يكنها للسلطان الحسن الأول.

ولما التئم عقد الهيئة المخزنية، نودي باسم السلطان على
القائد محمد، وقاسم بن محمد قائد الحامية العسكرية في خنيفرة، وكذلك
قواد المحلة السلطانية، فمد السلطان يده وآخى بينهم، وعاهدوه على
الذب عن حوزة السلطنة العلوية والذياد عن حماها.

وجدير بالذكر أنه كان للمحلة العسكرية التي أرسلها السلطان
الحسن الأول إلى القايد محمد في خنيفرة دور هام وأثر واضح في
استتباب الأمن في قبائل زيان، وقد كان قوامها 300 جندي و3 كدافع (**)
بقيادة الزكاتي قائد الرحا. وهذا يدل على أن القايد محمد كان موضع ثقة

(*) هكذا في النسخة المطبوعة بدون اسم.
(**)هكذا في النسخة المطبوعة ولعلها مدافع

وأول عمل لهذه المحلة العسكرية أنها توجهت بقيادة القايد
محمد إلى قبيلتي آيت خويا وأيت بوهو، فكانت معركة أو معركتين
فأذعنت للقايد محمد، ثم تحولت المحلة إلى قبيلة آيت شارظ فانضوت
تحت لوائه، ثم توجهت إلى قبيلة آيت بوحماد، فالتجأوا إلى مدشرهم
"تلهنات" ثم استسلموا بعد عدة معارك. وبعد ذلك توجهت إلى آيت عبد
الكريم وهم في موقع وسط بين زيان وإشقرن، فتحصنوا بمدشرهم
"بوغروم"، فاستعملت المدافع حتى هدمت عليهم مدشرهم المذكور.

وباستسلام هذه القبائل بعد 3 سنوات من المعارك، أصبح
محمد أوحمو قائد المنطقة زيان بدون منازع.

وتحسن الإشارة في هذا السياق إلى أن القايد محمد استطاع
بذكائه وحنكته السياسية، ويفضل معاملته مع النخب التي تقود قبائل
زيان، تارة باستعمال القوة، وتارة أخرى باستعمال أسلوب الإغراء، أن
يجنب المنطقة الفتن والحروب الدائمة، وأن يضع حدا للخلافات التي
تؤجج الصراع بين القبائل، واحتوائها بطريقة تمكن من جمع الكلمة،
ورص الصفوف، والتكتل بناء على المصالح المشتركة.

لقد كان القائد محمد يملك القدرة على العمل بروح الفريق مع
أبنائه وأقربائه لبناء الوحدة بين قبائل زيان، فاستطاع بما يملك من
موهبة التنظيم والتواصل مع الغير سواء كان عدوا أم صديقا أن يمارس
جاذبية خاصة على قبائل أخرى انضمت إليه طوعا، وكونت معه حلفا
قويا تمكن من خلاله أن يوحد قبائل زيان تحت راية واحدة.

في عهد السلطان عبد العزيز

وعندما بويع السلطان عبد العزيز ملكا على المغرب في عام
1311هـ الموافق (1894م) أخذت مدينة خنيفرة زينتها، وتأهبت المحلة
العسكرية في زيها الرسمي، وخرجت إلى الربوة المسماة سيدي أوعياظ،
وهي بالقرب من ثكنة رجال المطافئ حاليا، وسمع دوي المدافع فرحا
بهذا الحدث، ثم انطلق القائد محمد وقائد المحلة ومعهم الناس لقراءة
ظهير السلطان الجديد بالمسجد الجامع.

ثم بعث القائد محمد أحد أولاده مع وفد من جنود المحلة
وكبار قبيلته في نحو 300 فارس إلى مراكش وزودهم بهدايا ثمينة
وعظيمة، وكان من جملة الوفد أخت القائد محمد المسماة " شريفة ".
وقصدها صلة الرحم مع ابنة أخيها رابحة، قد دخلت إلى القصر
السلطاني ووصلت رحمها بها، وجرت المقابلة الرسمية، ثم رجع الوفد
بمؤونة المحلة المخزنية وهي الذخيرة والسلاح، وبهدايا نفسية للقائد
محمد، كما رجعت أخته بمثل ذلك من ملابس نسوية وحلي ثمين.

في عهد السلطان عبد الحفيظ

عندما بويع السلطان عبد الحفيظ بمراكش ملكا على المغرب
أوفد وفدا من القائد محمد وزوده بهدايا ثمينة وبأنواع من السلاح
الحديث وقتذاك، وأوعز للوفد أن يعلنوا زواج السلطان بكريمة القايد
محمد " رابحة ".

هذا من جهة، ومن جهة ثانية عين السلطان عبد الحفيظ
الابن الأكبر للقايد محمد حوسى أوحمو عاملا على مدينة فاس، وفيما
يلي نص الظهير الشريف: "خدامنا الأرضيين أهل فاس المحروسة
شرفاء وعلماع وأعيانا وغيرهم كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته، وبعد فإن لنا مزيد اهتمام بمصالح مدينتكم المباركة،
وحرصا كبيرا على تمام استقامة أحوال أهلها، وبقائكم في عافية كافية
وراحة شاملة وأمن وأمان، وسكينة واطمئنان، مع حفظ نظام منافعكم
ومرافقكم وأسباب معاشكم... ولأجل ذلك شرح الله صدرنا لتولية خديمنا
الأنجد القائد الحسين ابن الخديم الأنصح القائد محمد أوحمى الزياني
عاملا عليكم لما هو عليه من وفور العقل وكمال والنزاهة عن الوقوف
في مواقف التهورات والتنطعات، لا يسلك مسالك الهوى، ولا يتبع
الأغراض الهاتكة لستر الأعراض... زيادة على ما له ولأبيه من
النصيحة الراسخة والمحبة الثابتة، وتوفر عصبتهم، وتعدد قبائل
إيالتهم... وقد أسندنا إليه النظر في أموركم، فنأمركم أن تسمعوا له
وتطيعوا فيما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة... وقد جعلنا خديمنا

القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق خليفة عنه، شدا لأزره، وتقوية
لعضده، ونائبا عنه..." إلى آخر ما جاء في هذا الظهير الشريف، وعندي
نسخة منه. والرواية الشائعة بين الناس أن السلطان عبد الحفيظ عين
حوسى أوحمو باشا على مدينة فاس، وهذا غير صحيح، إذ جاء في
الظهير الشريف أنه عينه عاملا على هذه المدينة.

وتحسن الإشارة إلى أن الأوضاع السياسية في المغرب كانت
غير مستقرة، إذ كانت السلطة المركزية ضعيفة، وكان للقبائل صولة في

الميدان، فكان السلطان عبد الحفيظ يحتاج إلى من يؤمن له الحماية
أثناء تنقله من مراكش إلى فاس، حيث نفض يده من الشيخ عبد الحي
الكتاني الذي كان يتزعم له السلامة بمن معه من رؤساء قبائل زعير
وزمور وبني مطير، وعول أن يعتمد على قبيلة زيان أثناء تنقله.

فعندما جاءه وفد القايد محمد وعلى رأسه ابنه الأكبر حوسى
أوحمو وابن أخيه أولعايدي، فضل السلطان عبد الحفيظ حماية فرسان
زيان، فقال لرئيس الوفد حوسى أوحمو: هل من الأحسن أو من الأمن
سلوك طريقكم زيان فبني مكيلد فبني مطير، فعبر له هو وأولعايدي أنهم
فرسان هذا المضمار، وأنهم يضمنون له السلامة.

في عهد السلطان محمد الخامس

وإبان حقبة الاحتلال الفرنسي للمغرب تيقن السلطان الراحل
محمد الخامس بأنه لا يمكن إجلاء المحتل الفرئسي إلا بالاعتماد على
عائلة أمحزون التي تتزعم قبائل زيان، إذ انخرط كثير منهم في سلك
المقاومة علنا أو سرا منذ وقت مبكر، منهم على سبيل المثال: أمحزون
مولاي إدريس بن القايد محمد، وأمحزون المصطفى نحوسى وأمحزون

سيدي نحوسى وأمحزون القايد محمد أمهروق وأمحزون
القايد أولعايدي
وأمحزون علي أوحمو وأمحزون موحا أوالحاج وغيرهم. بل
قام أفراد
من العائلة بإرسال برقية إلى المقيم العام الفرنسي في
الرباط وإخباره
بعد نفي السلطان محمد الخامس بأنه إذا حالت فرنسا دون
رجوع
السلطان إلى المغرب، فإن قبائل زيان ستعيد الحرب إلى
أوارها الأول،
فأذعن الفرنسيون بعد تداول القضية في الجمعية الوطنية
بباريس.

ورجع السلطان من منفاه، فقرر بأن أول مدينة سيزورها بعد الاستقلال
هي " خنيفرة " عرفانا للجميل لقبائل زيان وعائلة إمحزان الذين ساندوه
في محنته.

وقد مهدت هذه العلاقة الوثيقة بين عائلة أمحزون والسلاطين
العلويين للمصاهرة بين الملك الراحل الحسن الثاني وإحدى حفيدات
أمحزون محمد أوحمو الزياني وهي الأميرة لطيفة بنت سيدي علي
أمحزون، وهي أم الأمراء، حيث أثمرت هذه الزيجة ابنين وثلاثة بنات
في مقدمتهم العاهل المغربي محمد السادس.

خاتمة

إن القائد أمحزون محمد أوحمو الزياني كان منظما ومخططا
استراتيجيا من الطراز الأول، كيف ذلك؟ لأنه اعتمد في البداية على
عشيرته إمحزان الذين كان والده رائدهم، ثم أصبح عضوا في جماعة
القبيلة، ولم يتأخر في أن يصبح شيخها أو كبيرها بمعنى (أمغار) في
عرف الأطلس المتوسط، ثم بمهارته وقوة شخصيته صادر سلطات كبار
الجماعة، ثم هيمن على معاير التجارة والكسب والضرائب، ثم استطاع
أن يجعل من نفسه قائدا لقبيلته، وفي آخر المطاف استطاع بمساعدة
هذه الأخيرة أن يهيمن على مجموع قبائل زيان.

ولولا هجمة الاحتلال الفرنسي الشرسة، لتوج قائدا للأطلس
المتوسط. وقد عرضت عليه هذه الرتبة بالفعل من الفرنسيين لاستمالته
وإغرائه، لكنه رفضها حين جاءت المبادرة من عدو، وذلك ترسيخا
لمبدأ التضحية والفداء والقيم الرفيعة. إنه فعلا شخصية فذة متميزة
تستحق الاحترام والتقدير من الجميع.

لقد كان البطل المجاهد القائد محمد، رغم كبر سنه ورغم

الانتقام الوحشي للمحتل من أهله ومواطنيه، يقود المقاومة رافضا
الاستسلام إلى أن استشهد والسلاح في يده يومه 27 مارس 1921 في
كمين نصبه له المعتدي. لكن ظلت مواقفه عنوانا للشهامة والإباء،
والشجاعة والإيثار، في سجل التاريخ الذي لا ينسى، وفي الذاكرة
الشعبية التي ظلت تتناقل بطولات هذا الرجل الفذ وتضحياته، واستعصائه
على المساومة جيلا عبر جيل إلى يوم الناس هذا.

فهرس المراجع

- أحمد القاسم الزياني : تاريخ بلدة خنيفرة، تحقيق محمد امحزون، الناشر : المحقق ، مطبعة النجاح، 1988 م.

- أحمد المنصوري : كباء العبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بلحسن، الناشر : المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2004م.

- ندوة علمية : المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط انعقدت في مدينة خنيفرة أيام 2-4 شعبان 1420 هـ الموافق 11-13 نونبر 1999 م

- Maurice Le Glay : Rabha Fille de L'Amrar, Recits Marocains de la Plaine et des Monts , Berger - le vrault, Editeurs : Nancy- Paris - Strasbourg.

- Armand Pradel : Moha Ouhammou Le Zaiani, Marakech: imprimé par Jean Devpac.1919.

- Capitaine Said Guenoune : La Montagne Berbère : Les Ait Oumalou et le pays Zain, Publié par le comité de L'Afrique Française et le comité du Maroc, 1929.

- Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aayane AlMarhrib L'Akça, Paris : Librairie orientaliste, Paul Geuthner, 1939.

- Mohamed Ben Lahcen : Moha Ouhammou Zayani, Fes:
  mprimerie Info-Print, 2003.

- Notes sur le pays Zaian, Archives Berbères,
- Publication du comité d'études Berbères, Editions: Leroux, Paris, 1915-1920.